مقدمة

التاريخ من اهم الميادين الفكرية التى اهتم بها الانسان والتى ظهرت منذ عرف الكتابة اذ شعر بالحاجة الى تدوين ذكرياته وافكاره ومعارفه وتسجيل خواطره عن الكون خوفا عليها من الضياع . فالتاريخ بدأ تدوينا لحوادث واخبار منفردة ، أو ترجمة لملك او تخليدا لعظيم ، ثم انتهى بتأريخ حياة الشعوب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بطريقة لا تقتصر على سرد الخبر او الحادث بل بطريقة يصدر فيها المؤرخ احكامه بأسلوب علمى يقوم على البحث فى الوثائق التاريخية واستخلاص النتائج التى تتعلق بجهود البشرية فى الماضى ، وكيفية الاستفادة منها فى الحاضر .

وللتاريخ ابعاد ثلاثة أولها انه علم له منهج يبرزه من خلال دراسته الحدث والتحقق من ابعاده ، وابرازه للتجارب الانسانية الماضية مستعينا فى ذلك بما تركته وراءها من آثار . وثانيها انه ادب لأنه يتطلب ذوقا رفيعا ومقاييس واضحة خلال عرض موضوعاته . وثالثها انه فن لأنه يحتاج الى الابداع والخيال الذى يبعث الحياة فى الماضى ، ويبرزه فى ثوبه اللائق به . والى جانب ذلك فان التاريخ يتطلب بصيرة علماء النفس والفلسفة واحكامهم وخصوصا انه التجربة المدونة للجنس البشرى التى يستطيع الانسان أن يستفيد منها فى شتى ميادين المعرفة ، وان اعادة كتابته تعد بمثابة اختصار للتجارب البشرية ، وحفظ لخبرتها كما انه أشد العلوم الاجتماعية انسانية ، هذا بالاضافة الى أنه بمثابة ذاكرة الشعوب ، وخاصة ان الشعوب التى لا ماضى لها لا هوية لها .

ولما كان لكل علم منهجه فان للتاريخ منهجا له طبيعته فى البحث يشمل مجموعة من القواعد والأسس التى يسلكها الباحثون بهدف تنظيم عملية البحث التاريخى .

ومن المعروف أن مدلول منهج البحث يتكون من كلمتين الأولى منهج وتعنى الطريق أو السلوك وهى مشتقة من كلمة نهج بمعنى سلك أو اتبع ، وكلمة مناهج بمعنى الطريق الواضح أو الخطة المرسومة ، ومنها منهاج الدراسة [١] .

وفى التنزيل الحكيم « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » [٢] .

وقد استعمل افلاطون وارسطو هذه الكلمة فاستخدمها الأول بمعنى المعرفة واستعملها الثانى بمعنى البحث عن المعرفة ثم تأصلت هذه الكلمة فى عصر النهضة الأوربية فاستعملها الفرنسيون واطلقوا عليها Mothode واستخدمها الانجليز واسموها Method بمعنى القواعد العامة الموضوعة من أجل الوصول الى الحقيقة فى العلم . وبالنسبة لكلمة بحث فهى مصدر الفعل الماضى بحث ومعناه فتش أو تقصى أو تحرى أو حاول ، ومعنى ذلك أن معنى البحث لغويا يعنى تقصى حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور .

وعلى ضوء ذلك فانه يمكننا تعريف منهج البحث بأنه القواعد المنظمة والأسس المحددة التى يسلكها الباحث لتعينه على ترتيب أفكاره ، وممارسة عمليات التمحيص والتحليل بهدف الوصول الى الحقيقة العلمية أو أى ضرب من ضروب المعروفة .

والبحث فى التاريخ يبدأ — شأنه كشأن العلوم الأخرى — بأن يدرك الباحث أن هناك شيئا يتطلب الايضاح ومن هنا يبدأ بتحديد مشكلة الدراسة ، واهداف البحث . ومن المعروف أن الغاية الأساسية من وراء أى بحث علمى هى المعرفة ، وهذا يجعل دور الباحث فى التاريخ لا يقتصر على تدوين الحوادث على النحو الذى يمدنا بالأخبار بل يشمل تحليلها ومحاولات كشف وجوه ارتباط بعضها ببعض ، علاوة على ارتباطها من حيث

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ج ٢ ، طهران ، المكتبة العلمية ص ٩٦٦ .

(٢) المائدة : الآية ٤٨ .

التتابع أو الاتفاق الزمنيين . ومع أن كل حادثة تاريخية تعد فريدة فى بابها من بعض الوجوه فانها أيضا يمكن أن تشبه غيرها من الاحداث التاريخية .

ولما كان معظم الدراسات حول هذا الموضوع قد مضى عليه حين من الزمن ولم يواكب الدراسات الوثائقية والبحثية الجديدة ، ونظرا لأن تقدم البحث فى علم التاريخ يرتبط بالمنهج ويدور معه وجودا وعدما ، وخصبا وعقما وصدقا وبطلانا ، وأصالة وركاكة . ونتيجة لأن المعرفة الواعية بمناهج البحث التاريخى تستلزم بالضرورة انقسام الباحثين لبحوثهم ، وتلافى الكثير من العثرات التى تعترض بعضهم فاننا قد حاولنا أن ندلى بدلولنا بهذه الدراسة التى نرجو أن تحقق بعض النفع لطلابنا وباحثينا ، وأن تثمر ثمارها المرجوة فيما يفيد توجيه البحث العلمى ، كما نرجو الا يكون حبنا للتاريخ أعمق من معرفتنا به ، وأن تؤدى حسن معرفتنا به الى المزيد من الاستفادة منه .

وفى الختام نذكر اننا نضع فى اعتبارنا كل المحاولات الجادة التى سبقت هذه الدراسة مثل كتابات حسن عثمان ا واسد رستم وغيرهما بقينا منا أن دراستنا هذه لا تنشأ من فراغ ، كما انها لا تنتهى من فراغ بل هى حلقات متصلة ، وهذه الدراسة حلقة من هذه الحلقات سوف تتبعها دراسات ودراسات ان شاء الله .

والله أسال أن يوفقنا للعمل المفيد .

ا . د عبد المنعم ابراهيم الجميعى

ابها ، المملكة السعودية

فى ١٣ محرم ١٤١٢ الموافق ٢٣ يوليو ١٩٩١